

مقتطفات:

إرهاصات الطب النفسي الإيقاع الحيوي التطوري،

منذ نصف قرن 1968 :

من كتاب "عندما يتعري الإنسان"

مقار اسمه "إنسانيتكو (Insayettco)!!"

(من العكاية الثانية: كرسى على مجل)

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD150517.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 15/05/2017

السنة العاشرة - العدد: 3544



مقدمة:

أثناء كتابتي نشرة الاثنين، وهو اليوم الذي خصصته لموضوع (كتاب) "الفصام مغارة الضياع وعود الإبداع" شعرت بأنني أظلم الموضوع بقدر ما أظلم المتابع، فهو موضوع متخصص، مع أن كل من يكتب لي تعليقا متواضعا عنه (إلا ثلاثة أو أربعة أحيانا) هو غير متخصص، لكن هذه التعليقات من غير المتخصصين تلمنني أكثر وتشعرنني بحاجة الناس العاديين - أصحاب المصلحة - إلى هذا الفكر العملي البسيط المفيد، مهما بدا للمتخصصين غير مدعم بأرقام (و... أموال)، وحين رجعت إلى كتابي الباكر الذي نقتطف منه تباعا ما يثبت أن هذا الفكر متأصل منذ أكثر من نصف قرن، وجدت العناوين الفرعية للطبعات المتتالية كالتالي:

الطبعة الأولى والثانية: "صور من عيادة نفسية:"

الطبعة الثالثة: "دروس للناس في الطب النفسي"

أما هذه الطبعة (الرابعة) وهي التي سوف تصدر هذا الأسبوع فقد تغير العنوان الفرعي إلى

"الطب النفسي الآخر: من الناس إلى الناس،"

ولعل دلالة هذا التغير هو تقرير ما وصلني من خلال الإقدام على إصدار النشرة اليومية "الإنسان والتطور"، وما تبينته خلال العشر سنوات التي صدرت فيها (تاريخ صدور أول نشرة هو أول سبتمبر 2007)، وبالذات من خلال تتبع بريد الجمعة، وبرغم تشجيع ونداءات الإبن والزميل صاحب الفضل أ.د. جمال التركي، كل ذلك أدى إلى أن يتدرج وعيي بالمتلقى حتى انتهيت إلى أن يكون خطابي موجه "إلى كل من يهمله الأمر"، سواء أمر نفسه، أم أمر الإنسان، أم أمر الإيمان، أم أمر لغتنا الحضارة، أم أمر ثقافتنا المهمشة، أم أمر حسابه على وقته، وذرات علمه، ولقاء ربه، هذا ما انتهيت إلى أنه يرضيني ويحملني مسئولية الاستمرار ما دمت قادرا،

لكنني في نفس الوقت وجدت أنني إذا كنت قد اطمأنتت إلى تحديد المخاطب، فعلى أن اعترف

بفضل المصدر، وهم مرضاي، ومهنتي، وكل من ظنّ بما أحاوله خيرا، فنقدني أو صححني أو أرشدني، أو أضاف إليّ، هذا فضلا عن ما وصلني من كل من اجتهد على نفس الدرب إلى نفس الغاية بأي لغة وفي أي تخصص، وهكذا جاء العنوان الفرعي لهذا الكتاب التاريخي) عندما يتعري الإنسان

على أن المحترف بفضل
المصدر، وهم مرضاي،
ومهنتي، وكل من ظنّ بما
أحاوله خيرا، فنقدني أو
صححني أو أرشدني، أو
أضاف إليّ، هذا فضلا عن ما
وصلني من كل من اجتهد
على نفس الدرب إلى نفس
الغاية بأي لغة وفي أي
تخصص

”من الناس إلى الناس“ فأنا لا أقدم صوراً من عيادة نفسية كما جاء في العنوان الفرعي للطبعة الأولى، ولا أدرس دروساً للناس في الطب النفسي، كما جاء في الطبعة الثانية والثالثة، وإنما أنا أتعلم من الناس (المرضى والأصحاء ونفسي ومن حولي)، وأرد له دينهم بما وصلني وهو طب نفسي أيضاً، لكنه ”طب آخر“، لعله أبسط، وأنفع، وأقرب إليهم.؟

وبعد

يا ترى هذه المقدمة الطويلة سوف تشرح لماذا قررت أن أوجل الحديث عن الفصام، وهو المعلم الأول والشهادة لله، حتى تتاح له الوقت الذي يستحقه إذا نجحت في إنجاز عدد من الطبقات الورقية لما تجتمع لدى من سائر أعمالى، وأيضاً ربما تتاح له المساحة المناسبة، بعد انتهائى من حوارى مع مولانا النفرى، وهربى فى أحوال وأهوال، واعتذارى لشيخى محفوظ كل خميس، ربما، والله يفعل ما يشاء ويختار.

كما وعدت، سوف أوصل الاقتطاف من أعمالى القديمة ما يوضح أكثر فأكثر أبعاد وماهية هذا الطب النفسى الآخر، ويوفر وقتى لنشر ما تيسر ورقياً.

تعالوا نرى مقتطف اليوم، وهو من نفس الكتاب مع التذكرة بأنه ”الطب النفسى الآخر“ لنعرف بعض ما هو آخر فيه

المقتطف

من الحكاية الثانية: ”كرسى على عجل“،

ونقتطف الحوار مباشرة بين الحكيم والمريض

لنختم هذه النشرة بالحوار بين الفتى الناقية مع الحكيم.

قال الحكيم (الطبيب)

للمريض (المحترم)

.....

= ولكن للأمر وجهها آخر

قال المريض:

- نعم... لكل شيء وجه ووجه، ولكن أين وجهى أنا بين الوجوه، لقد لاحظت زوجتى تأملى مرأتى وأنا ألق ذقنى كل صباح، وخشيت أن تظن بى الظنون، كنت أشد جلد وجهى لعلى أجد تحته وجهاً آخر أتعرف عليه، ولكن هيهات، بينى وبين نفسى يقف الناس حائلاً بينى وبينى، فكرت أن آخذ مرآة معى فى المكتب، وخلوت بنفسي، ولكن أحسست أن خيال زوجتى يقبع معى فى ركن الحجرة تنظر إلى بنظراتها الهادئة الواثقة الضاغطة، تطل على من صفحة المرأة.. حتى فى المكتب، وخشيت إن أنا أخرجت المرأة أن ينادى خيالها الموظفين ليشاهدوا مديرهم وهو يبحث عن نفسه تحت جلد وجهه، ماذا بقى بينى وبين الجنون؟ لقد كنت أشاهد نفسى أحياناً وهى تخرج لى لسانها؟ هكذا خيل إلى، بل إنى أحياناً أخرج لسانى لنفسي دون مرآة لأن كل ما عملته لا شيء... لا شيء، لقد صنعت نفسى من لا شيء فوجدت أننى ما صنعت إلا اللاشيء.

قال الطبيب (الحكيم):

=ولكن هذا الألم كله، كل ما انت فيه الآن: ... هل يخرج من لا شيء.

قال المريض:

أنا أتعلم من الناس (المرضى والأصحاء ونفسي ومن حولي). وأرد له دينهم بما وصلني وهو طب نفسي أيضاً، لكنه ”طب آخر“. لعله أبسط. وأنفع. وأقرب إليهم.؟

كما وعدت، سوف أوصل الاقتطاف من أعمالى القديمة ما يوضح أكثر فأكثر أبعاد وماهية هذا الطب النفسى الآخر، ويوفر وقتى لنشر ما تيسر ورقياً

إن الألم هو علامة وجودى... إن ما بقى لى هو الألم، ولكنه ألم من نوع خاص.. إنه مأساة الحياة. إنه ثمن الغداح.. أريد أن أسير فى الشوارع أناذى الناس أن يصوبوا قبل فوات الأوان.. أن يراجعوا الطريق.. أن يرفعوا العصاة



-الألم؟!!! إن الألم هو علامة وجودى..، إن ما بقى لى هو الألم، ولكنه ألم من نوع خاص.. إنه مأساة الحياة، إنه ثمن الخداع.. أريد أن أسير فى الشوارع أنادى الناس أن يصحوا قبل فوات الأوان.. أن يراجعوا الطريق.. أن يرفعوا العصا، ولكن لا بد أن أعرف أولاً ماذا بعد رفع العصا من على العيون، لا بد أن أعرف بديلاً، لا بد أن أعرف الطريق حتى تكون صيحتى نداء هادفاً، وليست صفة حاقدة تعرّى الحقيقة ثم... لا شئ.

= فأنت تبحث عن طريق آخر.

- ولكنى يائس من العثور عليه.

= لأنك وحدك.

- ولكنى حاولت أن أجد أحداً فوجدت حياتى ليس بها أحد، وجدت الناس أشياء أستعملها وتستعملنى كما ذكرت لك.

= ربما جئت هنا.. لنمضى معا.

- نعم...؟ نعم؟ معاً؟ هذه وظيفتك، تستمر مع أى أحد إلى أى مدى، ماذا ستخسر أنت؟ أنت هو

أنت، تستمر مع من تشاء كما "أنت" ثم تخرج من صحبته "أنت" "أنت"، أما أنا... فلست شيئاً، أنت تقول "معا"؟ أليس كذلك؟ سوف تجد بجوارك صفراً عظيماً، ستجد نفسك تسير وحدك، لا تُصَيِّع وقتك يا دكتور وقل لى لافائدة.. ربما وانتى الشجاعة وعملتها.

= ولكن، ربما هناك فائدة... أية فائدة .

- فائدة لك.. لقد قلت لك إن هذه هى وظيفتك، أكل عيشك.. ومع ذلك فأنت هو أنت. وأنا لا شئ،

أليست هذه هى الحقيقة.

= أنا لست "أنا" إلا بك، بصحبتك على الطريق.

- أى طريق؟

= طريق أن ترى نفسك كما تستحق... كما أنت أهل له.

- أنا أهل لماذا؟ ماذا أريد؟ لقد تصورت أنى أريد الاحترام، وهأنذا حصلت عليه.. فماذا كانت

النتيجة؟

= ولكنك تتحدث عن تجربة، وعن زيف، وعن رغبة فى أن تجنّب غيرك هذا الزيف، لو عرفت

البديل.

- لو عرفت البديل!

= فأنت تفكر فى الآخرين فى قمة أزمته.

- ولكن الآخرين هم الذين ضيعونى، لأنى حسبت حسابهم أكثر مما حسبت حساب نفسى.

= ولكنك الآن تفكر بطريقة أخرى، تريد أن "تعطى" تجربة، لا أن "تأخذ" احتراماً.

- صحيح.. ولكن لا بد أن تكتمل التجربة.. أولاً.

= ولذلك أنت هنا.

- لا.. أنا لست هنا لذلك، أنا جئت هنا لأحرق هذه الورقة الأخيرة، ثم أجد مبرراً للاستمرار فى

السخط والتحطيم، ولكن.. لكن يبدو أنه مازال هناك باب لم أطرقه.

= هو باب إنسانيتك.

لا بد أن أعرفه أولاً ماذا بعد رفع العصا من على العيون، لا بد أن أعرفه بديلاً، لا بد أن أعرف الطريق حتى تكون صيحتى نداء هادفاً، وليست صفة حاقدة تعرّى الحقيقة

حاولت أن أجد أحداً فوجدت حياتى ليس بها أحد، وجدت الناس أشياء أستعملها وتستعملنى

الآخرين هم الذين ضيعونى، لأنى حسبت حسابهم أكثر مما حسبت حساب نفسى

- إنسانيتي؟! ماذا تعني!!! هل هناك عقار اسمه "إنسانيتكو"؟ أنا بدأت بالبحث عن الاحترام فهل كان على أن أبحث عن إنسانيتي؟ إنسانيتي تعني ماذا؟

= أنت لم تبدأ بالبحث عن الاحترام، هم الذين وضعوك في أول الطريق، فسرت.

- وهل كان ممكناً ألا أسير؟

= كان صعباً جداً...، ولكن الممكن الآن أن تُجَنَّبَ غيرك هذه المسيرة..

- ما لي أنا وغيري الآن؟

= أنت بغيرك وغيرك بك.

- لستُ فاهماً.

= إنما يكون الإنسان إنساناً إذا مارس إنسانيته مع إنسان آخر.

- ما أسهل ذلك، وأصعبه!!

= وما ألزم ذلك، و... وأوجه.

- الكلام سهل، لا تخدعني من فضلك.

= حين يزداد عدد "الناس الناس"، ويقل عدد "الناس الأشياء"، سوف تزيد الفرص للجميع.

- نعم؟! نعم؟! تلوح لي بما أتجنب تصديقه.

= لسنا في عجلة، ونحن معا.

- وهل تصبر على؟

= وهل تصبر أنت على؟

قال الفتى للحكيم:

- ولكن كل هذا الألم.. كل هذا الألم، هل تتركه يعانيه حتى يعثر على الناس الناس؟.

قال الحكيم:

= لقد استعان العلم على مثل هذا الألم بالكيمياء والطبيعة، ولكن هذا ينبغي ألا ينسينا حقيقة المأساة

الإنسانية، علينا ألا نرضى بتخفيف الألم على طول الخط، بديلاً عن اليقظة الشاملة.. لتحقيق الإنسان الإنسان.

قال الفتى:

- ولكن ما هي ماهية هذه الإنسانية التي وعدت بها المحترم؟ إنني أخشى، أن يكون الأمر كلاماً، أو

أوهاماً.

قال الحكيم:

= إن خوفك له ما يبرره، فالسعى وراء "ألفاظ" عامة، لا يقل خطره عن السعى وراء قيم زائفة،

ولفظ "الإنسان" إن لم تتحدد أبعاده على أرض الواقع... أصبح هو الآخر وهمماً كما تقول.

قال الفتى:

- وهل يمكن تحديد أبعاده؟

قال الحكيم:

= لكي يكون الإنسان إنساناً لا بد أن يكون وحدة قائمة، تأخذ وتعطي بلا خوف ولا قهر، حتى يحس

إنسانيتي؟! ماذا تعني!!!

هل هناك عقار اسمه

"إنسانيتكو"؟ أنا بدأت

بالبحث عن الاحترام فهل

كان على أن أبحث عن

إنسانيتي؟ إنسانيتي تعني

ماذا؟

إنما يكون الإنسان إنساناً إذا

مارس إنسانيته مع إنسان آخر

حين يزداد عدد "الناس

الناس"، ويقل عدد "الناس

الأشياء"، سوف تزيد الفرص

للجميع

علينا ألا نرضى بتخفيف الألم

على طول الخط، بديلاً عن

اليقظة الشاملة.. لتحقيق

الإنسان الإنسان..

بحرية الاختيار النابع من كونه هو : ذاته، معهم، إليه.

قال الفتى:

- ولكننا نخرج من تعميم إلى تعميم، فما أكثر الوهم الذى أحيطت به هذه الألفاظ وأولها.. الاختيار والحرية.

قال الحكيم:

=وكأنى بك أصبحت الحكيم الحذر المراوغ، ولست الفتى طالب المعرفة

وبعد

هذا بعض ما كان منذ نصف قرن،

وقد كنت قد وعدت أن أقتطف من العمل التالى الذى أعده أيضا للطباعة الورقية) ملحمة الرحيل والعود"، (بعد أن وجدت أن به ما يتكامل مع هذا العمل الأقدم برغم أن بينهم أربعين عاما، لكننى أجلت ذلك حين وجدت الأقدم أسهل وأكثر مباشرة؟

ذلك أننى اكتشفت فى هذا العمل الأحدث عمقا قد لا يلتقطه إلا من توكل عليه، وشحذ وعيه إليه، وجاءه يسعى، وهو يخشى.

.....

مللت من تكرار الاعتذار، ولا بد أنكم مثلى

ومن تكرار الخجل من الاعتذار

فعدرا!!!

لذى يكون الإنسان إنسانا
لابد أن يكون وحدة قائمة،
تأخذ وتعطى بلا خوف ولا
قهر. حتى يحس بحرية الاختيار
النابع من كونه هو: ذاته،
معهم، إليه

ذاك أننى اكتشفت فى هذا
العمل الأحدث عمقا قد لا
يلتقطه إلا من توكل عليه،
وشحذ وعيه إليه، وجاءه
يسعى، وهو يخشى

*** **

مؤسسة علم النفس العربى

Arab Foundation Of Psychological Sciences

<http://arabpsynet.com/>

<http://www.arabpsyfound.com/>

إصدارات مكتبة

السلسلة المكتبية " نفسانى "

" الكتاب العربى لعلوم وطب النفس "

<http://www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBooks.htm>

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=16&controller=category&id_lang=3

*** **

السلسلة المكتبية " وظيفى النفس "

<http://www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBFiAnfosikom.htm>

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=17&controller=category&id_lang=3